(٨٨) [الحسيب]

ورد ذكر اسمه سبحانه (**الحسيب**) في القرآن الكريم ثلاث مرات؛ وذلك في قوله سبحانه: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ۝٦ ﴾ [النساء: ٦]، وقوله عز وجل: ﴿ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ۝٨٦ ﴾ [النساء: ٨٦].

المعنى اللغوي:

قال في اللسان : « (**الحسيب**): الكافي، فعيل بمعنى مفعل من أحسبني الشيء إذا كفاني. والحسب الكرم. والحَسَب: الشرف الثابت في الآباء.. وحسْبُ –مجزوم– بمعنى كفى، قال سيبويه: وأما حسب فمعناه الاكتفاء، وحسبك درهم أي كفاك.. ويقال: أحسبني ما أعطاني أي: كفاني... يقول: حسبك هذا أي: اكتف بهذا»(١).

وقال الراغب: «والحسيب والمحاسب من يحاسبك ثم يعبر به عن المكافئ بالحساب»(٢).

المعنى في حق الله تعالى:

قال الزجاجي رحمه الله تعالى: « (**الحسيب**) يجوز أن يكون من حسبت الحساب، ويجوز أن يكون أحسبني الشيء إذا كفاني. فالله تعالى (محسب) أي: كاف فيكون فعيلاً في معنى مفعل كأليم ونحوه»(٣).

وقال الطبري رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾

---

(١) لسان العرب ٢/ ٨٦٣ - ٨٦٥.

(٢) المفردات ص ١١٧.

(٣) تفسير الأسماء ص ٤٩.

[الأحزاب: ٣٩]، أي: وكفاك يا محمد بالله حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبًا عليها»[١].

وقال الإمام ابن القيم –رحمه الله تعالى– في نونيته:

«وهو الحسيب كفاية وحماية والحسبُ كافي العبدَ كلَّ أوان»[٢].

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: « (الحسيب): هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها»[٣].

وقال أيضًا: «والحسيب بمعنى الرقيب الحاسب لعباده المتولي جزاءهم بالعدل، وبالفضل، وبمعنى الكافي عبده همومه، وغمومه. وأخص من ذلك أنه الحسيب للمتوكلين: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾ [الطلاق: ٣٠]، أي: كافيه أمور دينه ودنياه»[٤].

وقال كذلك: «والحسيب أيضًا هو الذي يحفظ أعمال عباده من خير، وشر، ويحاسبهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أي: كافيك وكافي أتباعك، فكفاية الله لعبده بحسب ما قام به في متابعة الرسول ظاهرًا وباطنًا، وقيامه بعبودية الله تعالى»[٥].

وقال في موطن آخر: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء: ٨٦]،

---

(١) تفسير الطبري ٢٢/ ١٢.

(٢) نونية ابن القيم البيت رقم (٢٣١٧).

(٣) تفسير السعدي ص ٩٤٧.

(٤) توضيح الكافية الشافية ص ١٢٦، ١٢٧.

(٥) الحق الواضح المبين ص ٧٨.

فيحفظ على العباد أعمالهم حسنها وسيئها، صغيرها وكبيرها ثم يجازيهم بما اقتضاه فضله وعدله وحكمه المحمود»[(١)].

وقال الخطابي رحمه الله تعالى: «الحسيب هو المكافئ فعيل بمعنى مفعل كقولك: أليم بمعنى مؤلم، تقول العرب: نزلت بفلان فأكرمني وأحسبني أي أعطاني ما كفاني حتى قلت: حسبي. والحسيب أيضًا بمعنى المحاسب، كقولهم: وزير ونديم بمعنى موازر ومنادم ومنه قول الله سبحانه: ﴿ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ ﴾ [الإسراء: ١٤] أي: محاسبًا والله أعلم»[(٢)].

مما سبق من الأقوال يتحصل لنا في معنى (الحسيب) معنيان:

الأول: بمعنى الكافي والحافظ.

الثاني: بمعنى المحاسب.

من آثار الإيمان باسمه سبحانه (الحسيب):

أولاً ما ذكر من الآثار في الإيمان باسمه سبحانه (الكافي)، (الكفيل) يصلح أن يذكر هنا لتقارب المعنى في هذه الأسماء.

فالله سبحانه هو الكافي لعباده الذي لا غنى لهم عنه أبدًا، ولا يشاركه في ذلك أحد أبدًا، وإن ظن بعض الناس أن غير الله يكفيهم فهو ظن باطل، بل كل شيء لا يتم إلا بخلقه وأمره وتقديره سبحانه، وفي ذلك يقول الغزالي رحمه الله تعالى: «هو الكافي، وهو الذي من كان له كان حسبه، والله تعالى حسيب كل أحد وكافيه، وهذا وصف لا يتصور حقيقته لغيره، فإن الكفاية إنما يحتاج إليها المكفي، لوجوده، ولدوام وجوده، ولكمال وجوده.

(١) تفسير السعدي ص ١٩١.

(٢) شأن الدعاء ص ٦٩ - ٧٠.

وليس في الوجود شيء هو وحده كافٍ لشيء إلا الله تعالى، فإنه وحده كافٍ لكلِّ شيء، لا لبعض الأشياء أي: هو وحده كافٍ يتحصل به وجود الأشياء ويدوم به وجودها، ويكمل به وجودها.

ولا تظنن أنك إذا احتجت إلى طعام وشراب، وأرض وسماء، وشمس وغير ذلك، فقد احتجت إلى غيره، ولم يكن هو حسبك، فإنه هو الذي كفاك بخلق الطعام والشراب، والأرض والسماء فهو حسبك.

ولا تظنن أن الطفل الذي يحتاج إلى أمه، ترضعه وتتعهده فليس الله حسيبه وكافيه، بل الله كفاه إذ خلق أمه، وخلق اللبن في ثديها، وخلق له الهداية إلى التقامه، وخلق الشفقة والمودة في قلب الأم حتى مكنته من الالتقام، ودعته إليه وحملته عليه.

فالكفاية إنما حصلت بهذه الأسباب، والله وحده المتفرد بخلقها... فهو وحده حسب كل أحد، وليس في الوجود شيء وحده هو حسب شيء سواه، بل الأشياء يتعلق بعضها ببعض، وكلها تتعلق بقدرة الله تعالى»[١].

ثانيًا: وعلى المعنى الثاني لاسمه سبحانه (الحسيب) وهو المحاسب الذي أحصى كل شيء على عباده ويوم القيامة يحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم؛ إن هذا المعنى يثمر في قلب المؤمن الخوف والوجل من الله - عز وجل - ومحاسبة النفس، والاستعداد لهذا الحساب بالطاعات واجتناب المحرمات ومظالم العباد، لأنه سيقف بين يدي الحكم العدل الذي قال عن نفسه سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا

(١) المقصد الأسنى ص ٧٢.

تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال - عز وجل -: ﴿ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَـٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٦٢].

وهذا الحفظ والإحصاء الدقيق، والحساب الذي لا يفوته شيء، هو الذي يبهت أهل الأجرام، الذين لا يبالون بأعمالهم صلحت أو فسدت، يعملون السيئات بلا حساب ويظنون أنهم متروكون سدى، لا حساب ولا عذاب، قال تعالى عنهم: ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾[الكهف: ٤٩].

لذلك كان لزامًا علينا أن نحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، وأن نزن أعمالنا قبل أن توزن.

والذين نسوا يوم الحساب ولم يعملوا له، وعاشوا دنياهم غير ناظرين لآخرتهم هؤلاء أهلكوا أنفسهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ [ص: ٢٦].

والذين لا يؤمنون بيوم الحساب خطر على الناس والحياة والأحياء، لأنهم لا يستقيمون على أمر الله، ويفسدون الحياة بكبرهم: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [غافر: ٢٧].

وفي يوم الحساب يبعث الله الأولين والآخرين، ويجمعهم على صعيد واحد، لا يتخلف منهم أحد: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥].